

بعيدة أكثر فقراً. وقد تقاسم آل حداد بيتاً عتيقاً مع مستأجرين آخرين، على زاوية مار يوسف الظهور، لا يزال قائماً حتى الآن بفقره ورطوبته، والدخنجي الذي يبيع ذاته الرثة لمن يشاء.

كان عالم زقاق البلاط جميلاً ومختلطاً وملوناً. ففي هذه المساحة المحدودة، تحمل الشوارع الصغيرة أسماء تركية وفرنسية، أشهرها مورييس باريس في حي المسجد. وعلى هنا جاء أول جنوبي مشياً وسوف يصبح أشهر فران في بيروت، المعلم أبو عفيف رضوان، وسوف يكسب أبو عفيف كسباً حقاً، فيشتري أول ما يشتري طقم الكنبايات الذي أرادت أن تبيعه الدونا ماريا سرسق، وفي هذه الأحياء كان التجار يتزوجون ثلاثاً في غالب الأحيان، لأن الزوجة تساعد في الكسب. وتاجر أكياس الورق كان يوزع أعمال التوليف والتلزيق والجمع، على هذه الشركة الجميلة من السيدات المليات، الفرحات. في بيت نهاد حداد كان المذيع عند الجيران قريب من شباك المطبخ وكانت تضي أكثر الوقت على ذلك الشباك الأخضر العتيق، في بيت رطب الجدران من أجل أن تسمع الأغاني. وكان والدها يحب أن يسمع من غنطوس الرامي أخبار الدنيا.



هو الآخر قد تجاوز زمن الطفولة عندما حلت طفولة فيروز، كان السحر هو الراديو. لقد حلّ الأثير المغني محل تجارب أديسون العظيم في تدوين الصوت البشري. قبل أيام كانت "سبعون" نهاد حداد جميلة مثلها مثل ضوء القنديل على البيادر في حزيان. مثلها مثل صوت الينابيع عندما يلتقي آذار بنيسان على الحفافي والمتعرجات وتحت شجر الجوز. كلاهما يغني لما ذهب ولما يشتهي أن يأتي. مثلها مثل زهرة الشقيق، وحيدة في البرية، فرحة بقيام نفسها وحزينة بوحدتها والعمر الذي مرّ حزيناً من زقاق البلاط وفي قعر الفقر، على العرش في مملكة الحنجر وديار الحب والهوى والشعر.



جاء أهل البنت السريانية الحزينة من ماردين. كانت تلك إحدى الهجرات إلى لبنان هي نهاد حداد التي جاء والدها من ماردين في تركيا، جاء فقيراً مثل الموت ومثل التشرّد وتزوج من فقر آخر صبية لبنانية حتى الفران الجنوبي في زقاق البلاط كان يعرف في قرارات نفسه أن هناك من جاء على الحي من حقول